القصص

آلة الزمان

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

سأقص حديثاً عجيباً . من شاء أن يصدقه فلى أشكره مع تقديري أنه إنما يصدقني لاعتقاده أنني لا أكذب ، وأما إذا شاء أحد أن يكذبني فله أن يفعل وهو معذور . فان الناس لا يصدقون ما يرونه بأعينهم ، ولا سبيل إلى أن أريهم ما رأيت ، وقد آثرت أن أذكر في حديثي هذا كل الأسباء على حقيقتها حتى اذا عرف أحد بعض هذه الاسباء ساعده ذلك على تصديقي ، إذ ليس من الممكن أن تبلغ بي الجرأة على الحق أن أذكر أسباء الناس علناً في صحيفة سيارة وأنا كاذب في قولي : أصبت في وقت من الاوقات بضعف في الاعصاب من الجهد المتواصل والهم الماضي ، فوصف لي بعض الأطباء أنواعاً من الرياضة . ولكن أبى الله أن يمكنني من ذلك العلاج . فقد زهدت في رياضة الصيد اذ رأيت فيها قسوة ومثلة ووحشية ، ثم زهدت في السباحة لأني لم أجد مكاناً متنزلا ملائماً أنزل إلى البحر فيه في أثناء الصيف ، لأن جسمي ليس بالجميل ، وثياب الشواطىء كما لا يخفى على أحد مهلهلة تصف الأجسام على حقيقتها ، ثم مارست ماسوى ذلك من أنواع الرياضة حيناً فأصبت بضعف في رجلي فلم أستطع متابعة هذا السعي ، لأن الرياضي لا يليق به أن يظلع . ولكني جعلت أبحث عن تسلية ملائمة فوفقت إلى اختراع اخترعه انجليزي بارع وهو المؤلف المشهور (هـ . ج . ولز) . وكان لاختراعه هذا وجهة كبرى في الأوساط العلمية ، ولكن هذا المخترع يحترف الأدب فأصابته عمة الأدباء فلم يقبل أحد على شراء اختراعه . فغضب حتى حطم النموذج الذي اخترعه وأبى أن يعلنه الى الناس . غير أنه لما بلغه ما أنا فيه من الحيرة بعث الي بوصف اختراعه ، وطلب الي أن أستفيد به ما شئت ، ولكنه حرم علي أطلع أحداً عليه إلا باذنه . فلا يطمع أحد في أن يسألني عن سر ذلك الاختراع . ومن شاء فليرسل الى ذلك العالم وليسأله أن يبيح له الاطلاع على النموذج الذي صنعته أنا لنفسي ، فاذا فعل لم أتردد في إطلاعه عليه . وذلك الاختراع بالاختصار هو آلة دقيقة الصنع تحتاج إلى مهارة فائقة في الادارة والاستعمال ، كما تحتاج الى مواهب خاصة فيمن يريد أن يستعملها . وأحمد الله اذ كنت ممن منح هذه المواهب الخاصة ، وهي مصنوعة من معدن لا يزال عجيب الخواص مجهول الكنه ، ومن خواصه التي عرفت الى اليوم أنه شفاف ولا تبصره الاعين في ضوء النهار الا إذا وضع منظار من نفس المعدن على الأعين . ولهذا يسهل على الانسان أن يترك الآلة المصنوعة منه في أي مكان بغير حارس ولا يخاف عليها اللصوص أو من عبث المارة .

ولا حاجة بي الى الاطالة في وصف هذه الآلة ، ويكفيني أن أذكر اسمها وقد يكون بعض القراء قد سمع به من قبل وهي (آلة الزمان) ، واسم هذه الآلة يدل عليها وعلى الغرض منها . ومن أراد التوسع في فهم أغراضها ونظرياتها وطرق إدارتها فعليه أن يستأذن صاحب اختراعها كما أسلفت في أول هذا الحديث .

هذه الآلة بالاختصار عبارة عن حجرة صغيرة لها جدران شفافة من المعدن الذي وصفته ، وفيها مقعد واحد لا يسع الا رجلا واحداً . وفي داخلها أمام المقعد مفاتيح كثيرة يتحرك بعضها الى أعلى وبعضها الى أسفل وبعضها الى اليمين والبعض الى اليسار وهكذا في جميع الاتجاهات التي يتصورها الذهن ، وفي وسطها عجلة كبيرة تدور إذا قبض عليها الانسان بيده وضغط عليها قليلا . فاذا أمال يده نحو اليمين دارت يميناً ، واذا أمالها نحو اليسار دارت يساراً . وهذه العجلة هي أم الآلات في تلك الحجرة . فاذا ما لمسها الانسان وضغط عليها دارت دوراناً شديداً ، فاذا بالحجرة كلها تدور دوراناً شديداً ، ثم اذا بالجالس على الكرسي يعتريه دوار شديد ويفقد الحس حيناً من الزمن ثم يصحو فينظر الى ما حوله فيرى مناظر غير المناظر التي كانت حوله قبل أن يدير العجلة . لا بل انه يرى مناظر ما كان يحلم بوجودها قبل أن يضع يده على تلك العجلة .

والذي يحدث باختصار عند ضغط العجلة أن الانسان اذا مال يده نحو اليمين دارت الآلة ، وتحرك لسان على لوحة أمام الجالس

فهبط الى اسفل ، وعلى تلك اللوحة أرقام كثيرة ، وعند ذلك يتنقل هذا الشخص الجالس فى الآلة بطريقة عجيبه بطول شرحها — ولا أسمح لنفسى أن أذكرها بغير اذن — فاذا ذلك الجالس ينتقل على السنين نحو الماضى فيذهب الى العصور الماضية ويرى نفسه يمر على السنوات الغابرة عاما فعاما . وكلما انتقل من عام الى عام قبله تحرك اللسان على اللوحة مشيرا الى رقم السنة . وأما اذا كان ميل الضغط نحو اليسار فان اللسان يتحرك على اللوحة الى أعلى ، فاذا بالجالس فى تلك الآلة ينتقل على السنين نحو المستقبل فيذهب الى العصور المقبلة ويرى نفسه فى غمار الحياة فى الاجيال الآتية . ويتحرك اللسان على اللوحة مشيرا الى رقم السنوات المقبلة . حتى الآن ما ذكرت من وصف الآلة فانى أخشى من بعض أساتذة الجامعة فى كلية العلوم أن يغطن اذا أطلت الوصف فيعرف سر هذه الآلة من ثنايا قولى بوساطة بعض طرقهم العلمية الماكرة من الارتماطيقى والماتيماطيقى والفيزيقى والميقانيقى . أو غير ذلك من العلوم التى لا علم لى بها . فانهم لو فعلوا ذلك لاوقعونى فى ورطة ، اذ أكون قد خدعت عن سر لا أملكه ولا يحمل لى التصرف فيه . وقد كنت اذا شعرت بالسأم يدب الى نفسى أنهض الى هذه الآلة فأجلس فيها وأدير العجلة الوسطى نحو اليمين فاذهب فى العصور الماضية الى حيث شئت . وقد كنت اختار دائما تلك العصور الماضية لانى شديد الحنين اليها لانى لست ممن يرتاحون الى الوقت الحاضر ، ولا يرون فى الحال الماثلة حولنا شيئا ترتاح اليه النفس أو يطمئن اليه القلب . فالناس فيه : شيوخهم فيهم وهن ، وكهولهم فيهم حرص ، وشبانهم فيهم طراوة ورخاوة .

ولا فائدة فى أن أعيد الى القارىء مناظر تلك العصور الماضية ، فهى ماثلة مصورة فى كتب التاريخ اذا كانت غير ماثلة مع الاهواء . وكنت أجد ما أحببت من السرور بالتجول فى تلك العصور ، اذ كنت أشبع كبريائى بما أراه من مجد الآباء والاجداد ، وكنت اذا رأيت منظرا يؤلمنى فى عصر من العصور أسرعت بادارة العجلة التى أمامى فأنتقل مسرعا حتى أبصر مناظر بهجة فى عصر آخر فأوقف العجلة وانزل من الآلة وأتجول فى أنحاء ذلك العصر حتى امتلىء سرورا ، ثم أرجع وأدير العجلة فأعود الى عصرى ومنزلى خوف أن يقلق أهلى اذا أطلت عنهم غيبتى . وقد وقعت عينى مرة فى أثناء عودتى الى عصرى على منظر استرعى انتباهى فأوقفت العجلة مسرعا ثم نزلت من الآلة لاشاهده . فقد رأيت رجلا من عامة أهل الريف واقفا فى وسط ساحة قرية من (ميدان الاوبرا) وقد أخذ بتلابيب رجل على رأسه قبعة قذرة وهو ضخم الجسم ولكن وجهه يشع المنظر . وله عينان كأنهما عينا ذئب مفترس ، وله أظافر طويلة ليست كأظافر بنى الانسان بل هى قريبة الى أظافر النسور مقصوصة طويلة مدببة . وقد وقف حول الرجلين جماعة من أمم مختلفة ، ولكن أكثرهم من أولاد مصر القاهرة ممن يسهل اجتماعهم حول أية ضجة تثور فى طريق من الطرق ، وهم لا يقصدون بذلك الا اشباع رغبة الاستطلاع وإفساح المجال الى دعابتهم المحببة اليهم ، وتثرثرتهم الصادرة عن طيبة بالغة فى قلوبهم ، فوقفت بينهم وأنا ممتلىء مثلهم رغبة فى الاستطلاع ، ولا فرق بينى وبينهم إلا أننى لم أكن عند ذلك مستعدا للدعابة ولا للثرثرة . وبعد هنيهة علمت أن ذلك المبرنط دائن لذلك الريفى وأنه قد استولى على كل ماله فى الريف حتى الجأه الى أن يهرب الى القاهرة لاجئا الى أزقتها وجدران مبانيها متخذا الأولى معدى ومراحا والثانية مأوى . وقد استجدى ذلك الفلاح يوما رغيفا فأكل ربعه ودس الباقى فى جيب ثوبه المهلهل جاعلا اياه ذخرا يلجأ اليه اذا عضه الجوع فى ليلة لم يجد فيها من يطعمه لقمة . فكان جيبه بارزا الى أمام يخيل الى من يراه أنه قد خبأ فيه شيئا ذا قيمة ، وقد أراد سوء حظه أن يلقاه دائنه المبرنط وهو على تلك الحال ، فاسرع اليه الشك فى أنه يخفى فى جيبه دجاجة لما بيض ذهبى ، وزاد الشك فى قلبه وغلى دمه عند ماتذكر أنه لايزال له على ذلك الريفى مقدار من المال . فقال فى نفسه « يالعدالة ! أأكون دائنا لذلك الريفى ولا أستطيع أن أحصل على دينى منه ؟ وها هو ذا يسير طليقا وفى جيبه دجاجة تبيض الذهب ؟ » وماهو إلا أن قال ذلك فى نفسه حتى اندفع اليه وأمسك بتلابيبه . وماهو الا أن فعل ذلك حتى اجتمع من رأيت حولهما من الناس ينظرون ويتكلمون ويمزحون . وقد أراد ذلك المبرنط أن ينزع عنه ثوبه المهلهل ليرى ماتحته فانى الرجل الريفى خجلا من أن يرى الناس جسمه المشعر عاريا ، فتشبث بالثوب وعلا النزاع بين الرجلين حتى بدأ الناظرة يتدخلون بينهما . ووقفت أنظر ماتؤول اليه أمر هذا النزاع ، فما هى الا برهة حتى رأيت الجميع يتألبون على الريفى حتى نزعوا عنه ثوبه ، يبحثون عن الدجاجة ذات البيض الذهبى . فلما تم لهم ذلك المسعى لم يجدوا الا رغيفا مقطوع الربع مهشم الباقى . فلما رأى الرجل المبرنط ذلك لم يرض أن يرجع من هجومه ذلك خائبا ، فأصر على أن يأخذ الثوب المهلهل ويترك الرجل عاريا ، ثم فكر فى اخذ الرغيف ولكن نفسه عافته ، وظن أنه لن يجد له شاريا فتركه وقال : « عليك ان تشكرنى أيها المماطل لانى تركت لك ذلك الرغيف تأكله وتملأ به بطنك وتنام فى حين أنى لاأتقاضى منك دينى . يالعدالة ! »

قال هذا فهز كثير من الحضور رءوسهم علامة الاعجاب والموافقة ولم يتكلم واحد منهم كلمة . ولكنى كنت حديث العهد برحلة فى عصر ماض من عصور نجد بلادى وكان قلبى يمثلنا كبرا واعتدادا بنفسى . فاثرت أن اترك مواطنى فى هذا اللغز . فتقدمت نحوه وقد غلبنى الغضب على الصمت وقلت للرجل بصوت عال . هل لك أيها المكين أن تشترك معى فى استرداد ثوبك بالقوة ؟» فنظر الرجل الى نظرة ذات مغزى ثم نظر الى من حولنا وسكت ، فنظرت حيث رأيته ينظر فاذا بالنظارة من حولنا يضحكون ويقلبون الثوب وهو مع الرجل المرتطم ويهنئونه بحصوله على شىء من دينه . وكان اعلامهم صوتا رجال مرتطون مثله يبلغون العشرة عدا . فعلمت من نظرة الرجل أنه يرى نفسه عاجزا ولو مع مساعدتى على استرداد ثوبه . ورأيت دمعة تسقط من عينه . وجثا تلقاء ركبتيه حياء من تعريض جسمه الضخم المشعر للانظار . وكان فوق ثيابى معطف قديم كنت أحتاط بلبسه فى رحلاتى فخلعته صامتا وطرحته فوق منكبيه فكساه إلى ما تحت ركبتيه . فنظر إلى صامتا نظرة كدت أبكى من وقعها عندما لاقت نظرى ، وتركته مسرعا وعدت الى الآلة فأسرعت بها عائدا إلى العصور الماضية أطلب التسلية فى مناظرها . حتى إذا ما سرى عنى ما بى من الشجن أدرت العجلة وعدت مسرعا الى عصرى ودخلت منزلى ، وكان أهلى قد قلقوا لطول غيبتى . ومنذ ذلك اليوم عاودتنى كآبة كانت تظهر فى حديثى وتدل عليها ملامح وجهى حتى لقد لحظها بعض أصدقائى ، وكان فيهم جماعة من الشبان أول الهمة فجعلوا يسألوننى عن علة ما بى فذكرت لهم قصتى فى ذلك اليوم الذى رأيت فيه ما رأيت من المرتطم والربفى . وذكرت لهم فى قصتى حديث الآلة التى أتجول بها فى العصور الماضية طالبا التسلية من هموم الوقت الحاضر . فقال لى أحدهم واسمه توفيق : « ولكن العجب أنك لم تفكر يوما فى أن تدير تلك العجلة نحو اليسار » ولم أتنبه قبل الساعة الى أن عجلة الآلة يمكن أن تدار الى اليسار فيكون التجول فى عصور المستقبل بدل أن يكون فى عصور الماضى . فقلت له وفى شىء من الارتياك « انى لم أفطن الى ذلك الا الآن » فأجابنى ذلك الصديق الشاب « انى أعتقد أن السلوة لا تكون أبدا فى العودة الى الماضى . فان الغنى اذا افتقر لا يسليه عن فقره أنه كان يوما ما واسع النعمة راقيا فى الغنى بل ان ذلك أدعى الى أسفه وأسخن لعينه . ولكن الذى يسلى الفقير أن يتطلع إلى المستقبل ليرى أنه سيكون بعد أمد فى راحة وبعد املاقه فى غنى . وكذلك الحال فى السجين ، فانه لا يهدأ قلبه من ذكرى ماضى حريته ، بل ان قلبه يهدأ وأمله يضمحل اذا فكر فى قرب يوم الاطلاق » . والحق أننى لم أتعلم من أحد مثل هذه الحكمة الصادرة من شاب غير مجرب . وقد شعرت بالخجل اذ رأيت أحد أبنائى فى السن يعلمنى حكمة غربت عن فكرى ، ولكنى أحمد الله على أن فى هذه الأمور أنزل عند الحق ولا تأخذنى العزة بالاثم . فقلت له « انى شاكر لك تنبيهى الى هذا يا صديقى وسوف أقص عليك ما ما أرى » وما هى الا ساعة حتى كنت جالسا على المقعد فى تلك الآلة المحبوبة ووضعت يدى على عجلتها وادرتها ضاغطا نحو اليسار . فرأيت اللسان يتحرك هذه المرة الى أعلى وقد أشار الى أرقام أعلى من رقم ١٩٣٣ . وقد عرانى عند دوران الآلة دوار شديد لم أشعر بمثله عند تجوالى فى العصور الماضية فلم أفق من الدوار حتى كان اللسان قد بلغ رقم (٢٠٠٠) عندذلك أوقفت حركة العجلة ونزلت من الآلة وتركتها على جانب الطريق الذى وجدت نفسى فيه ، ولم أخش أن أتركها حيث هى وأسير إذ أنى كنت على يقين من أنها فى مأمن من السرقة لأنى كنت واثقا كل الثقة من أنه ليس فى الناس جميعا من يملك منظارا من معدن الآلة فيستطيع أن يراها الا أنا والمخترع الأصلى للآلة وقد سبق لى ذكر اسمه .

سرت بعد ذلك فى طرق عجيبة لم تقع عينى على مثلها ، فهى فسيحة لا يقل عرض أضيقها عن مائة متر .

ويحف بها من جانبيها أبنية شاهقة هى أشبه بما نسمع عنه فى عصرنا الحال فى أمريكا وهو ما يسمونه (ناطحات السحاب) وكانت حركة الانتقال فى تلك الطرق الفسيحة سريعة عنيفة حتى كنت أخطو الخطوة وأنا خائف أترقب ، وكانت السيارات من كل نوع ومن صنوف لم أر مثلها من قبل فى عصرى الذى أعيش فيه وما كان أشد عجبى عند ما رفعت رأسى الى قمة هذه الأبنية فوجدت فوقها حركة عظيمة من طيور عظيمة تغدو وأخرى تهبط ، ولكنى عجبت أن تكون الطيور فى مثل هذا الحجم وهى على البعد العظيم الذى بينى وبين قمم هذه الأبنية ، وهممت أن أسأل بعض المارين عن ذلك ، ثم رأيت منطاداً طائراً يشبه ذلك المنطاد الذى أتى به (اكنر) الى مصر فى العام المنصرم فى عصرنا هذا ، ففكرت فى نفسى قائلا : ألا تكون تلك الطيور طائرات ميكانيكية . ولم يطل بى أمد الحدس والتخمين فقد رأيت طائراً من تلك الطيور يهوى من العلو الشاهق الى أسفل فاذا به يستوى على جانب الطريق واذا به آدمى تدوضع على ظهره آلة ذات جناحين قد ربطها ربطا محكما فى كتفيه وأعلى صدره . فاهبط على الأرض حتى حل الأربطة وعالج الآلة حتى استوت على عجلتين كانتا خفيتين ثم أدار لولبا فى جانب الآلة فاذا

بها تعدو على نمط (المونوسكل) فى عصرنا الحالى . وعند ذلك فقط عرفت كنه هذه الأسراب الطائرة فوق أعلى الأبنية . وهنيئا فى سيرى وأنا أكثر علما بأنى فى عصر جديد وعهد غير ما عرفت فى بلادى . وجعلت وأنا سائر أتلفت حولى تلفت المذهول الدهش كأنى بعض أهل الريف نزل عاصمة كبرى لأول مرة فى حياته . فقلت فى نفسى إننى أحشى إن أنا بعدت عن موضعى ألا أستطيع العودة اليه فليست هذه مدينة القاهرة التى ولدت فيها وعشت فيها طوال السنين . بل لقد غيرها مر الدهر أى تغيير حتى صارت غير ملائمة لحواسى وأعصابى . وعزلت على أن أعود الى الآلة التى حملتنى إلى ذلك العصر المجهول فأحرك عجلتها وأعود من حيث أتيت . وبينا أنا أفكر فى ذلك غير ناظر إلى ماحولى أذ أسرع الى شاب فاختطفنى اختطافا ودفعنى إلى جانب . وما هى الا ثانية بعد ذلك حتى رأيت طائرا من تلك الطيور الآدمية قد نزل فى الموضع الذى كنت واقفا فيه ولولم يدفعنى ذلك الشاب لكان الطائر قد هوى على وحطم رأسى . فلما أفقت من ذعرى خاطبنى الشاب بلهجة اللوم قائلا : « أما ترى علامة اقتاح الطريق أمامك ؟ » فنظرت الى حيث أشار بيده فوجدت أشارة حمراء وسهما مشيرا إلى أعلى فعلمت أن ذلك المكان موضع لرسو من أراد النزول من الطائرين إلى الأرض وأن الناس قد اعتادوا إطاعة تلك الاشارات الحمراء وتحاشى تلك المواضع . فاعتذرت الى الشاب وشكرته ثم دنوت منه فسألته قائلا : « أرجو أن تدلنى على مكان محطة المترو هنا . فنظر إلى الشاب وتبسم ضاحكا ثم قال : « لقد عرفت منذ رأيتك انك لست من أهل القاهرة » فغضبت لهذا لأنى لا اعتز بشىء اعتزازى بانى من أبناء القاهرة الصميمين ، وقلت له : « إننى منهم ومنزلى فى مصر الجديدة فى شارع . . » وما كدت أكمل هذا القول حتى ضحك وقال « مصر الجديدة ! حقا إنك رجل ظريف تعال معى الى هذا المجلس فانى منهب وقد سرتنى دعابتك . فمن أى الارياف جئت ؟ »

قال هذا وسار فى نحو مقعد عام على جانب الحديقة التى فى وسط الطريق . وقد أعجبنى من الشاب شهامته وخفة روحه فكظمت غيظى من إصراره على أننى ريفى ، وذهبت معه وأنا مسرور لأننى وجدت رجلا من أهل العصر الذى دخلت فيه أكلمه وأعرف منه أسرار حياة الناس فى أيامه . فلما استقر بنا الجلوس قال باسما : « أنت إذن من مصر الجديده ؟ » فقلت له متحديا :

« نعم ! أنا من هناك »

قال : « إننى سمعت بهذا الاسم فى التاريخ فى أثناء دراستى فى الجامعة ، ولكن مصر الجديدة اليوم اسمها حى الشركة القديمة . »

فقلت — « حى الشركة القديمة ؟ ولكن ما معنى هذا ؟ »

فقال انى كنت أدرس التاريخ الاقتصادى فى جامعة حوش عيسى وهناك ..... »

فلم أتمالك نفسى أن ضحكت هذه المرة متهكما اذ رأيت فرصة للانتقام وقلت : « جامعة حوش عيسى ؟ يالك من مداعب ماهر ! ألا تعرف أنى عشت فى إقليم البحيرة ورأيت حوش عيسى ؟ جامعة حوش عيسى ! » ثم اندفعت أضحك

فقال الشاب متعجبا من ضحكى : « لست أدرى لماذا تضحك ؟ نعم جامعة حوش عيسى . ألا تعجبك مدينة تعدادها اليوم فوق نصف المليون من الأنفس ؟ وهل تسخر من مدينة هى مركز شركات صناعة القطن والحرير والصابون وعجلات السيارات وأجنحة الطيارات ؟ »

فقلت له ضاحكا : « ما أسهرك فى الفكاهة يا أخى ! لعلهم قد كشفوا هناك منجما للفحم . »

فقال الشاب : « منجما للفحم ؟ ولماذا ؟ إن هناك أكبر مؤسسات استخدام أشعة الشمس . فهل من حاجة مع هذه المؤسسات الى منجم للفحم ؟ » فأرجعت شفتى الى نصابهما من الجد وعلمت أن قول الشاب لا يتم عن هزل أو فكاهة . فقلت له معتذرا : « أرجو المعذرة اذ كنت أجهل ذلك ، ولكنى أرجو أن تخبرنى أى شعب له فضل إنشاء هذه المصانع ؟ »

فنظر الى متعجبا وقال : « ألست مصريا ؟ » فقلت له مرتبكا : « نعم أنا مصرى . وكدت أخون نفسى فأفصح له عن سر حالى وحقيقة أمرى ثم تدرعت بالحزم وقلت له : « ولكن أرجو العفو فقد غبت عن مصر مدة طويلة . فالحقيقة أننى انتقلت منها طفلا ولم أعد اليها إلا اليوم . وكنت أحب أن اعرف الموضع الذى كنت أعيش فيه وأنا طفل فسألتك عن محطة المترو لاذهب به الى مصر الجديدة لذلك الغرض

فقال الشاب : « اعلم ان مصر اليوم لا يسمح فيها لشركة أجنبية أن تقوم بعمل . فهذا محرم فى قانونها ، ومنذ عشرات من السنين قد أفلست شركة مصر الجديدة لأنها ضاربت فى بعض المشروعات الاجنبية ، ومنذ أفلست استولت الدولة على مكانها وأطلقت عليه اسم حى الشركة القديمة ، وهو حى متوسط بين حى (الملكة نازلى الذى نحن فيه الآن وحى ميدان الطيران الاصغر الذى فى الطريق المؤدى الى مدينة السويس ، ويمكنك الوصول اليه عن طريق تحت الارض رقم ٥٠١ عن طريق السيارات رقم ٥ شمال ، وكنت أسمع

قول الشاب وأنا فى دهشة عظيمة من التغير الذى اعترى البلاد وأردت أن أعلم علم تلك الشركات التى ذكرها الشاب فى عرض حديثه عن مدينة حوش عيسى فقلت له : « ولكنك لم تقل لى لمن تلك الشركات التى تملك مصانع حوش عيسى »

فقال الشاب : « هى مثل الشركات التى تملك مصانع بلبيس والاسماعيلية وبورفؤاد . ومثل شركات مصانع السيارات والطيارات فى أسوان . وشركات استخراج الراديوم والالومنيوم وسائر المعادن من سواحل البحر الاحمر، وشركات مصانع الفراكه والمربيات فى وادى عربة الواقع فى الصحراء فى شرق مديريتى بنى سويف والمنيا . فكلها شركات مصرية »

فلم أتمالك أن اهتززت هزة قوية عند ماذكر الفتى ذلك ورفعت رأسى مباهيا كانما هذه الشركات قائمة فى عصرى الحالى وكدت أفخر قائلا أنا من بنى مصر هؤلاء . ولكنى ذكرت أن فخر ذلك ليس لى فانى من أهل جيل لم يحن لهم أن يفاخروا بمثل هذا . ورأيت الفتى يستعد للقيام فسألته وأنا آسف لفراقه : « الى أين ؟ » ولقد وددت أن أبقى معه حتى أعرف كل مافى حياة مصر فى عصره من التجديد البديع ، ولكنه أجاب اجابة حاسمة : « أعتذر لك لانى ذاهب لسماع خطاب رئيس شركة قناة السويس فى البرلمان فى موضوع هام خاص برسوم البحارة فى تلك القناة » فسألته : « وكيف يكون رئيس تلك الشركة عضواً فى البرلمان ؟ » فنظر الى متأففا من غبائى وقال : « ولكن لم تعجب لذلك ؟ أليس مصريا ؟ » فتعجلت اذ عرفت أنى دائما أنسى وأخلط بين عصرى وذلك العصر الجديد الذى نزلت به . ومد الفتى يده الى مسلما وقال : « لعلنا نلتقى بعد ! » فسلمت عليه باسما وشكرته ولكنى لم أملك نفسى أن سأله سؤالا كان يجول بنفسى طول المدة التى جلست فيها معه فقلت: « ولكن ماذا فعل الانجليز . ألا يزالون على عهدهم » فرفع الشاب رأسه عاليا وشمخ بأنفه وقال لى غاضبا : « حسبك أيها الرجل . ماظننت أنك تلغ بى الى مثل هذه الاهانة . »

فقلت معتذراً : « أية اهانة ؟ إنى لم أقصد شيئا من ذلك »

فقال وهو يسير : « إنك تذكرنى بعصر مضى منذ بعيد . فضى على بلادى أن تخضع له حينا من الدهر أيام كان أهلها فيهم رخاوة وضعف ، ولكن ماذا يدخل الانجليز اليوم فى أمورنا ولهم من أمورهم فى بلادهم مايملأ دائرة اهتمامهم ؟ » قال هذا وسار مسرعا وتركنى وحدى لاأملك رأسى مما بها من الدوار . فوضعت منظارى على عينى وجلت بنظرى حتى رأيت الآله حيث تركتها وأسرعت اليها فأدرتها وعدت الى عصرى ورأيت المناظر التى اعتدتها منذ عشت . وعدت إلى منزلى فقضيت ليلة مسهدة بين آمال وهموم . وقد زارنى اصدقائى فى اليوم التالى فقال لى توفيق :

« لعلك رأيت فى العصور الآتية مايذهب عنك ألم الحاضر »

فقلت : « لن ترانى بعد اليوم مقطب الجبين . سوف أسعى بقدر مافى لعلى أكون موفور النصيب من بنا. ذلك المجد المقدور ، ثم حكيت له قصة ما رأيت وقلت له : « ليحمل كل منا أمانته إلى أبناء الجيل الذى بعده . فهذا مجد محتوم . هذا أمل محقق ان شاء الله »

محمد فريد أبو حديد

كستور مصر

إنه لهدية ثمينة وتحفة نادرة

تقدمها

شركة مصر لغزل ونسج القطن

بالمحلة الكبرى

إلى

الشعب المصرى الكريم

فتقيه بذلك برد الشتاء القارس

أطلبه من مصنع الشركة بالمحلة الكبرى ومن تجار المنافاتوره ومن محلات شركة بيع المصنوعات المصرية بالقاهرة بشارع فؤاد الأول — وبالموسكى — والاسكندرية — والمنصورة — وسوهاج